الفصل السادس عشر

صلتي بالفقيد

إني إذ أعد نفسي تلميذًا لمصطفى كامل، فإني كذلك تلميذ لمحمد فريد؛ بل إن صلتي بفريد كانت أطول مدى من صلتي بمصطفى، فإن لم أدرك مصطفى إلا في أوقات محدودة، حين كنت أستمع إلى بعض خطبه، أو أقابله في (اللواء) منذسنة (١٩٠٦م) مرات معدودة. أمَّا فريد فقد اتصلت به عن كثب، وعملت معه وتحت لوائه سنين عديدة.

لقد كنت سنة (١٩٠٨م) طالبًا بالسنة النهائية بمدرسة الحقوق، حين تولى زعامة الحركة الوطنية، وكنت أتردد عليه كثيرًا في (اللواء)، وتلقيت عنه مبادئ الوطنية، كما تلقيتها من قبل عن مصطفى، فصادفت من نفسي موضع العقيدة والإيمان، واتخذته بعد مصطفى أستاذًا وإمامًا لي في الوطنية، وبدأتُ أكتب في اللواء على عهده، وأنا طالب بمدرسة الحقوق، وأذكر أن أول مقالة لي نشرت بالعدد الصادر في (٩ مارس سنة ١٩٠٨م) تحت عنوان (تبدد الشعور الوطني وتجمعه) بإمضاء (حقوقي)، كتبتها بعد وفاة المرحوم مصطفى كامل بشهر، وصفت فيها خواطري وآمالي في الجهاد، وكأنما رسمت لنفسي في هذه المقالة خطتي في الحياة، لذلك أود أن أنشر فقرات منها؛ لأنها صورة من شعوري وتفكيري، في مستهل حياتي السياسية، وفيها إشارة إلى صلتي الروحية بمصطفى وفريد، قلت:

«للحوادث العظيمة على حياة الأمم تأثير كبير، بما تحرك في القلوب من الشعور، وتستفز فيها من العواطف، فلربنا كانت حادثة مبدأ حياة أمة، أو سببًا في خلاصها من استبداد ظالم، وإذا عدت الحوادث الكبيرة، التي لها يد في تكوين الشعور الوطني عندنا، لجعلنا في مقدمتها وفاة فقيدنا العظيم مصطفى كامل، فلقد كانت وفاته

كشعلة من نار، مست الشعور الوطني، وأصابت منه موضع الإحساس والتأثر، فانفجر وظهر بمظهر لم يكن أحد منا يتنبأ به، ولا يزال في نمو وازدياد.

هذا الشعور الشريف، هو رأس مال الاستقلال، إذا تعهده الرجال العاملون منا، زادوه قوة وشدة، وحفظوه من دواعي الفتور والخمود، وساروا به في خطة منظمة محددة، وانحصر في تيار يجري رأسًا إلى غايتنا، وهي التخلص من سلطة الاحتلال.

إن الشعور بالحاجة، إذا لم يدفع المرء إلى العمل، لنيل تلك الحاجة، فلا فائدة منه ألبتة، فليس مجرد الشعور إلا معنى في النفس، لا وجود له، ما لم يظهر أثره في الخارج، الشعور قوة، ولكن بشرط أن ينبعث في طريق واحد، فأمن شر التبدد والتلاشي».

إلى أن قلت: «مات مصطفى كامل، فهج موته شعور الاستقلال في النفوس، وكان أول من أحس بوقع المصاب، النابغون منا في العلم والفكر، فبكوه مع الباكين، ورثوه مع الراثين، ولكن ما رأينا أحدًا منهم دفعه الشعور إلى أن ينزل ميدان الحياة الوطنية، فيعمل مع العاملين في تعهد الشعور الوطني، وإبلاغه الغاية التي ذكرناها؛ كل منا يعلم حاجتنا إلى رءوس مفكرة عاملة، تنير لنا سبيل تلك النهضة الشريفة، ولكنا نرى نابغينا في معزل عنها، مع أنهم هم أبناء نجدتها، فالقضاة لا يهتمون إلا بمحاكمهم، والمحامون بمكاتبهم، والأطباء بعياداتهم... الخ. اللَّهم إلا قليل منهم، تتجاذبهم الحياة الخصوصية من جهة، والحياة الوطنية من جهة أخرى، ذلك هو الشعور الذي لا أثر له، فليس التألم أو إطراء نهضة الشبان، وكبر الأمل في مستقبلهم، بعائد على الأمة بشيءٍ، ولكن الشعور الصحيح هو الذي يدفع صاحبه إلى البدء في محاربة رأس مال الاحتلال، أفرادًا وجماعات، حتى يقوى الشعور العام في كافة الطبقات، وترسخ عاطفة الحرية في القلوب، فلا يكون أمامنا سوى أمرين:

الاستقلال أو الموت؛ حين ذاك يقال: هذه أمة محال استعبادها، حيث تؤثر الموت على الرضوخ، فخير لمن يريد منها نفعًا أن يعاملها معاملة صديق مهاب.

ليس من الصعب علينا أن نصل بالشعور الوطني إلى هذه الدرجة، ما دمنا نعمل على خطة منظمة، فالأساس الذي يبني عليه الاحتلال صرحه نحن مقيموه بأنفسنا، ألسنا راضين بأن نعيش في كنفه؟ هل يعقل أن إرادة الملايين من النفوس إذا قويت وتوجهت بصدق نحو غرض واحد -هل يعقل أن تصدها وتكبح جماحها إرادة أفراد معدودين؟ رأس مال الاحتلال في قلوبنا، إن شئنا استبقيناه، وإن شئنا نزعناه من بين جوانحنا، فلا يعود له مقام بين ظهرانينا، فصرح الاحتلال قائم على عمادين: حسن الظن به من جهة، والوهم من جهة أخرى، فبحسن الظن ترضى الملايين من البشر بتحكم الأجنبي فيهم، فيثبتون سلطانه، وبالوهم يعطون له قوة لم يكن يحلم بها، فيخافون من شيءٍ هم خالقوه.

على هذين الأساسين أمكن بضعة آلاف أن يسودوا على مئات الملايين في بقاع متباعدة، فلا عجب أن كانت سياسة الاستعمار الآن هي تخدير أعصاب الأمم باستجلاب حبهم من جهة، وبإلقاء الهيبة والرعب من سطوتهم من جهة أخرى، فإذا نحن عملنا في هدم هذا الأساس من قلوبنا كنا مقيمين بعملنا بناء الاستقلال، وقد دلنا التاريخ على أن الأمة التي يشتد ألمها من الاستبداد، وتتخلص من آثار الوهم من سلطنه، تصبح على أبواب الحرية، ولم تستطع قوة ما الثبات إزاء سلطان عاطفة الاستقلال.

هذا هو الطريق الذي سلكه غيرنا فأفلحوا، إذا شعروا بحاجة قامة ودفعهم الشعور إلى التكاتف سرًّا وعلانية، على العمل لنيل ما يريدون، فوضعوا غايتهم

أمامهم، ورسموا لها الخطة العملية، وأعدوا لها معداتها، فعملوا على النظام الذي وضعوه، وكانو بذلك من الناجحين»(١).

ثم نلتُ شهادة الليسانس في (يونية سنة ١٩٠٨م)، وقيدت اسمي بجدول المحاماة في يولية من تلك السنة، وكنت لم أبلغ العشرين بعد، واشتغلت محاميًا بأسيوط شهرًا واحدًا «تحت التمرين» بمكتب الأستاذ محمد بك علي علوبة (باشا)، وكان وقت التحاقي بمكتبه على أهبة القيام للأجازة، فتركني لوكيل المكتب، أتلقى عنه الإرشادات والتعليمات التي تلزم «المحامي المبتدئ»، فلم أرتح كثيرًا لإرشاداته، ولا لطريقته في تفهيمي القضايا، وبدا لي في أول عهدي بالمحاماة أنها لا توافقني، وأني لا آنس لها كثيرًا، فضلًا عن أني تساءلت في خاصة نفسي: وما مصيري في المحاماة إلى جانب نظراتي في الحياة، وآمالي في الجهاد؟! فقضيت هذا الشهر قلقًا، أتطلع إلى الأفق لعلي أهتدي إلى طريق آخر يتفق مع خواطري وآمالي، فما إن دعاني فريد إلى أن أشتغل بالصحافة محررًا باللواء، حتى قبلت دعوته، وبدأت حياتي الصحفية في (أكتوبر سنة ١٩٠٨م)، ومن يومئذ ازدادت صلتي به؛ إذ كان يشرف على سياسة (اللواء) وتحريره، ويكتب فيه كثيرًا، ويتردد عليه يوميًّا، وكنت أسمع منه ثناء على ما أكتب، وأذكر أني كنت أترجم إلى اللغة العربية مقالات المرحوم إسماعيل شيمي بك التي يكتبها بالفرنسية؛ إذ كان يتقنها دون اللغة العربية، وكان آية في البلاغة، فجهدت نفسي في أن أبرزها إلى العربية في مستوى لا يقل عن بلاغتها الأصلية، ولعلي وفقت إلى بعض ما كنت أرجوه، وكان الفقيد يراجع ترجمتي لمعظم هذه المقالات، ويبدي لي إعجابه بها، فشجعني ذلك على الكتابة والترجمة.

وكنت أميل إلى كتابة المقالات المتسلسلة في موضوع واحد، ومن هنا نشأ ميلي إلى التأليف؛ إذ وجدت أن المقالة الواحدة في الصحف لا تتسع للموضوع الذي كنت أفكر فيه.

---

(١) «اللواء» ٩ مارس سنة (١٩٠٨م).

وأذكر أن أول سلسلة مقالاتي كانت في موضوع الدستور -وعنوانها (آمالنا في الدستور)- بلغت عدتها سبع مقالات، نشرت في اللواء في (أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٠٨م)، وتوليت الرد على تقرير السير إلدون جورست المعتمد البريطاني عن سنة (١٩٠٨م)، فكتبت في ذلك تسع عشرة مقالة، نشرت في (شهر مايو سنة ١٩٠٩ك)، تضمنت عرضًا تحليليًّا للحركة الوطنية، وموقف الاحتلال والحكومة حيالها.

وكتبت عدة مقالات عن حياتنا الاقتصادية، وما يتهددها من خطر، وعن الاحتلالين السياسي والاقتصادي، والانقلابات الاقتصادية (اللواء: ١١ و١٤ و٢١ و٢٨ فبراير، و٧ مارس سنة ١٩٠٩م).

ثم حدث تحول في حياتي العملية (أواخر سنة ١٩٠٩م)، ذلك أن زميلي وصديقي المرحوم الأستاذ أحمد وجدي (انظر صورته ص١٨٥)، الذي كنت أعزه وأنزله من نفسي منزلة الأخ الشقيق، رغب إليَّ أن أترك الصحافة، وكان هو أيضًا يعمل فيها رئيسًا لتحرير جريدة الدستور، التي كان شقيقه الأستاذ محمد فريد وجدي يتولى إصدارها، وقال لي: إننا يمكننا أن نشتغل بالمحاماة مستقلين، وأن نكتب في الصحف ما نشاء من الآراء والمقالات، وأن ذلك أولى من الانقطاع للصحافة، مما قد يفقدنا ميزة الاستقلال في حياتنا العملية. وقد ترددت في قبول هذه الفكرة؛ إذ كنت منصرفًا عنها، وما زال يقنعني بها، حتى قبلت نصيحته، بعد أن أمعنت النظر فيها، ورأيتها في جملتها أصوب من انقطاعي للصحافة، وأدركت مع الزمن أنه أسدى لي أعظم نصيحة، وساءلت صديقي حين تبادلنا الرأي في تحقيق فكرته: كيف نشتغل بالمحاماة مستقلين، وأنا لم أتمرن عليها إلا شهرًا واحدًا، وهو أيضًا لم يقض مدة كافية في المران عليها؟! وانتهينا إلى أن الحياة يجب أن تنطوي على شيء كبير من المجازفة، فعوَّلت وإياه على الانقطاع عن مهنة الصحافة، وعملنا معًا بالمحاماة بمدينة الزقازيق (منذ يناير سنة ١٩١٠م)، ثم انتقلت بعدئذ إلى المنصورة، إلى أن عدت إلى القاهرة سنة (١٩٣٢م).

وقد ارتحت كثيرًا إلى هذا التحول؛ لأنني رأيتني قد بدأت حياتي في المحاماة هذه المرة بداية حسنة، ولم أجد فيها الصعوبة التي كنت أتخيلها؛ بل شعرت كأني متمرن عليها، فألفتها وأحببتها، وأدركت أنها هي المهنة التي يجب أن أختارها لأؤدي واجبي الوطني، إلى جانب واجباتي الشخصية، وأخذت أكتب المقالات من آن لآخر، وأبعث بها إلى جريدة (العَلَم) لسان حال الحزب الوطني، وظهرت أول مقالة لي وأنا محام في عدد (١٣ مارس سنة ١٩١٠م) تحت عنوان (قوة الرأي العام والحكومة)، وكتبت في عدد (٣٠ مارس من تلك السنة) مقالة مطولة بعنوان (الشدائد خير مرب للأمم»، هنأني عليها الفقيد؛ إذ جاءت مطابقة للظرف الذي نشرت فيه مطابقة عجيبة، فقد أرسلتها إلى جريدة (العلم) في الوقت الذي صدر فيه قرار وزارة الداخلية بإيقافها شهرين، ولم أكن أعلم بصدور هذا القرار، فنشرها الحزب في أول عدد من جريدة (الاعتدال)، التي اتخذها لسان حاله مدة إيقاف العلم، فهوَّنت على القراء أمر الإيقاف؛ إذ دعوت فيها إلى مقابلة الاضطهاد بالصبر والثبات، وكأنها كتبت ردًّا على قرار وزارة الداخلية، فكان لها ضجة استحسان كبيرة، وصارت حديث الناس في مجالسهم، وبخاصة حين علموا أني كتبتها دون أن أعلم بقرار إيقاف (العلم)، واستبشروا خيرًا بما أكتب، وطلب مني المترجم المزيد في الكتابة، فكان ذلك التشجيع حافزًا لي على توكيد صلتي بالصحافة، وزاد في توطيدها أن شقيقي أمين بك كان محررًا مقيمًا بصحيفة الحزب الوطني، ثم رئيسًا لتحريرها.

وفي (سبتمبر سنة ١٩١٠م) انقطعت عن مكتبي، وتوليت رئاسة تحرير (العلم) إذ كان الشيخ عبد العزيز جاويش يقضي مدة السجن المحكوم بها عليه من محكمة جنايات مصر في قضية (وطنيتي)، وكان شقيقي أمين بك متغيبًا بأوربا؛ لحضور جلسات المؤتمر الوطني ببروكسل، وموافاة العَلم برسائل المؤتمر، وكانت إدارة العلم بشارع محمد علي (القلعة) بالمنزل رقم ١١٦، ولما رجع أمين من بروكسل عدت إلى مكتبي بالمحاماة.

واتجهت نفسي إلى الجمع بين المحاماة والتأليف، فقضيت أوقات فراغي من المحاماة سنة (١٩١١م) في تأليف أول كتاب لي وهو (حقوق الشعب).

وفي (سبتمبر سنة ١٩١١م) صحبتُ المترجم في رحلته إلى أوربا لحضور مؤتمر السلام، الذي كان مزمعًا اجتماعه بروما في أواخر هذا الشهر (ص٢٨٠)، وكان لمصاحبتي إياه أثر كبير في نفسي، وزادت صلتي الروحية به؛ إذ رأيت من عطفه وحنانه الأبوي، ودماثة أخلاقه، ورقة شمائله، ما حببه إلى نفسي، وصحبنا في هذه الرحلة الأستاذ أحمد وفيق، وقد أفدنا كثيرًا منها؛ لأن المترجم كان يعرف أوربا معرفة تامة، فكان يرشدنا إلى ما يجب أن نتعلمه ونعرفه ونشاهده في البلاد التي زرناها، وصحبنا في جزء من الرحلة الدكتور منصور رفعت، وأخذت لنا صورة بباريس تذكارًا لسياحتنا مع الفقيد (ص٢٨١).

وفي هذه الرحلة زرنا إيطاليا وفرنسا والنمسا، وعرجنا على الأستانة، وعدنا منها إلى مصر، وكتبت خلال سفري عدة مقالات عن مشاهداتي وخواطري في السفر، منها مقالة بعنوان (الأمم سيف وأخلاق)، أرسلتها من تورينو بإيطاليا، ونشرت في عدد (٦ أكتوبر سنة ١٩١١م) من (العلم)، ومقالة عن (الإسلام في إفريقية-مسألة طرابلس الغرب، والمسألة المراكشية) أرسلتها من باريس ونشرت في عدد (١٦ أكتوبر)، ومقالة عن (الوطنية والإنسانية، وكيف يفهمونها في أوربا) نشرت في عدد (٣٠ أكتوبر)، ومقالة عنوانها: (يومان في مجلس المبعوثان)، أرسلتها من الأستانة ونشرت في عدد أول نوفمبر.

وفي (مارس سنة ١٩١٢م) ظهر كتاب (حقوق الشعب)، فأعجب به المترجم، وهنأني بتأليفه، وقال لي: «في البلاد صحافة وطنية وينقصها التأليف الوطني، وقد سلكت هذا السبيل فاستمر فيه، وفقك الله». وقد عملت بنصيحته جهد المستطاع.

ولما هاجر من مصر استمرت صلتي به في منفاه، وكنت أراسله وأعرب له في رسائلي عن إخلاصي له، وثباتي على عهده، وزرته في منفاه بالأستانة في (أغسطس

obeikan.com

سنة ١٩١٢م)، وشعرت بغبطة كبيرة؛ إذ رأيته في صحة موفورة، ونفسية مطمئنة، وقد سافر يوم (٢٠ أغسطس) قاصدًا باريس فجنيف كما تقدم بيانه (ص٣٠٩)، وودعته على المحطة مع من ودعه من المصريين، وكانت هذه آخر مرة رأيته فيها، ثم بادلته المراسلة في منفاه، وجاءتني منه عدة رسائل تفيض عطفًا عليَّ، فزادت صلتي به توثيقًا وتوكيدًا، منها رسالة بعث إلي بها في بطاقة بريد (كرت بوستال) من جنيف بتاريخ ٥ ديسمبر سنة ١٩١٢م (انظر صورتها بالزنكجراف ص٤٦٧)، قال فيها:

«حضرة ولدنا الفاضل:

سلامًا وتحية وبعد؛ فأخبر الأخ أني في غاية الصحة، رغمًا عن البرد الشديد الذي نزل اليوم إلى ما تحت الصفر، وعن الثلج الذي كسا الأرض أول أمس حلة بيضاء نقية، وغطى جميع الجبال المحيطة بنا، ثم أرجو تبليغ سلامي لحضرة الشقيق الأمين، وباقي الإخوان، وفقكم الله وإيانا لخير العمل، وعمل الخير».

محمد فريد

بطاقة الفقيد إليّ في ٥ ديسمبر سنة ١٩١٢

Obeikan.com

وأرسل إليَّ بتاريخ (٢١ ديسمبر سنة ١٩١٢م) الكتاب الآتي من جنيف صورته بالزنكجراف (ص٤٧٠).

«جنيف في ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٢م

أخي الصادق رفع الله مقامه:

استلمت بيد السرور جوابك الرقيم ١٤ الجاري، وأثلج صدري ما به من العبارات الدالة على الصدق والإخلاص للوطن الأسيف، لدي الآن مسألة مهمة جدًّا أحب أن تهتم بها أنت والإخوان، وهي أننا كنا معتادين على مساعدة جريدة (إجيبت)[١] التي تصدر بلوندره بمائتي جنيه سنويًّا، دفعناها تمامًا في سنة (١٩١١م)، ودفعنا جزءًا منها في أوائل سنة (١٩١٢م)، وهو ٤٠ جنيه فقط، فقام مستر بلنت وإخوانه بمصروفاتها إلى آخر عدد ظهر منها ووصلني صباح اليوم، بمساعدة بعض الطلبة بإنكلترا، واليوم كتب لي المستر بلنت بعدم إمكان اللجنة القيام بنشرها، ما لم ندفع لها إعانة سنوية قدرها مائتا جنيه، وفي نظري أن بقاء هذه المجلة في عالم الوجود ضروري لنا الآن، وخصوصًا وقد أصبحنا بلا لسان يعبر عن أفكارنا في مصر إلا (الشعب) وطبعًا هو قصير العمر ما دامت الوزارة الحالية موجودة.

فأرجوك التكلم في هذه المسألة مع الإخوان، لجمع هذا المبلغ، ولو على قسطين يدفع الأول في شهر يناير، والثاني في إبريل مثلًا؛ لأنه لا يصعب على الأمة التي تجود بمئات الآلاف من الجنيهات ألا تبخل بمائتي جنيه فقط لمثل هذا العمل المفيد.

---

(١) هي مجلة شهرية كانت تصدرها بالإنجليزية «اللجنة المصرية» بلندن، وهذه اللجنة مؤلفة من بعض أحرار الإنجليز والإيرلنديين، برياسة المستر ويلفرد بلنت صديق المصريين والشرقيين، وكان المستر بلنت هو الذي يتولى الإشراف على تحريرها وإدارتها، وظهر العدد الأول منها في (مارس سنة ١٩١١م)، وقد منعت الحكومة دخولها مصر سنة (١٩١٢م) بإيعاز من اللورد كتشنر.

إني أشتغل الآن في وضع رسالة صغيرة بالفرنساوية أشرح فيها الأسباب التي أوصلت الدولة العلية لهذه النقطة الخطرة وهذا المركز الحرج، وربما ظهرت هذه الرسالة في بحر يناير.

وفي الختام أهديك أنت وجميع الإخوان مزيد سلامي، ووافر تحيتي، دمت لأخيك أو والدك».

المخلص

محمد فريد

«لم أر في الجرائد ذكرًا لعيد رأس السنة الهجرية، هل لم يحتفل به نادي المدارس العليا كالمعتاد؟

إذا أمكنك أن ترسل لي كتاب مصطفى صادق الرافعي «حديث القمر» أكون لك من الشاكرين». عنواني الحالي:

٧ bis Boulevard du Pont d Arve Geneve

وقد شهدتُ في سنة (١٩١٣م) وما بعدها، انفضاض بعض أنصار الفقيد البارزين من حوله، وكأن وجوده في المنفى قد أنساهم عهده، وزاد في انصرافهم عنه غضب الخديوي عليه، إلى غضب الاحتلال، وكنت أفضي إليه في بعض رسائل بألمي من تقاعس الكثيرين عن القيام بواجبهم الوطني.

فأرسل إليَّ من الأستانة في (مارس سنة ١٩١٣م) خطابًا (صورته بالزنكجراف ص٤٧٣) يحثني فيه على عدم اليأس وعدم التأثر للذين تخلفوا وتركوا الصفوف، ويرغب إليَّ وإلى الإخوان العمل في نشر الدعوة إلى الاستقلال الاقتصادي، لكي تستمر الحركة في نموها ونشاطها، قال:

«الأستانة في ٢٥ مارس سنة ١٩١٣م

حضرة الأستاذ الفاضل والوطني المخلص:

عزيزي، وصلني جوابك المؤرخ ٩ الجاري، المرسل إلى جنيف، وعلمت منه عدم وصول أعداد رسالتي إليك، وهذا غير مستغرب، فقد اتصل بي أن الطرد المرسل إليكم حُجز، وصودر بجمرك الإسكندرية مع طردين آخرين؛ مرسل أحدهما إلى ديمر الكتبي، والآخر إلى السخاوي، ولم يفلت إلا الطرد المرسل إلى الأخ عبد الملك، ولا أدري إذا كانت أعداد المجلة وصلتك، إذ ربما تحجز هي أيضًا.

هذا وقد ساءني ما جاء بجوابكم المذكور من العبارات التي تشف عن اليأس من مستقبل الأمة، بسبب ما ظهر من بعض أبنائها من الخور والضعف، تلك الحالة التي أدت إلى تلبية العموم لدعوة عميد أعداء البلاد، وما كنت لأنظر هذا (الشبه اليأس) منك، لما أعهده فيك من قوة الإرادة، وشدة الوطنية، فإذا كان الخوف من رجال السلطة حدى بالكثيرين إلى عدم إظهار إحساسهم الوطني، فما يمنعهم من صرف همتهم إلى المشروعات الاقتصادية، كالنقابات وشركات التعاون المنزلي والمالي، وقد برهن ما أسس منها على نجاح عظيم، وعلى استعداد الأمة للإقبال على مثل هذه المشروعات، هذا ميدان واسع للجميع، فادخلوا فيه بهمة ونشاط، فاستقلال مصر الاقتصادي مقدمة لاستقلالها السياسي.

على أني لم أزل أرى من الضروري تقوية لجنة الحزب الإدارية، وتتميم أعضائها بانتخاب المخلصين، وضمهم إليها، وإتيان بعض الأعمال التي تبرهن على وجودها.

أرجوكم الاجتهاد في إدخال أعضاء عاملين في جمعية ترقي الإسلام[1]، وأن تكون أنت في مقدمة المشتركين (والاشتراك عشرون فرنكًا في السنة) فإن هذه الجمعية سيكون لها مستقبل عظيم، وأثر فعال في جميع جهات الإسلام لو وجدت أقل مساعدة.

---

(١) انظر: ص٣٣٨.

وفي الختام أهديكم أنت والإخوان مزيد السلام».

محمد فريد

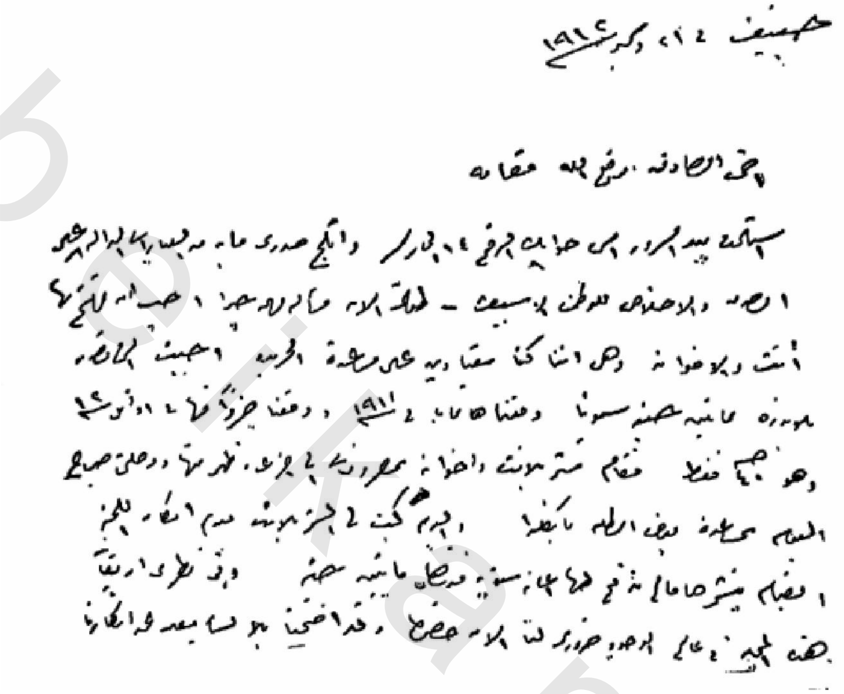

obeikan.com

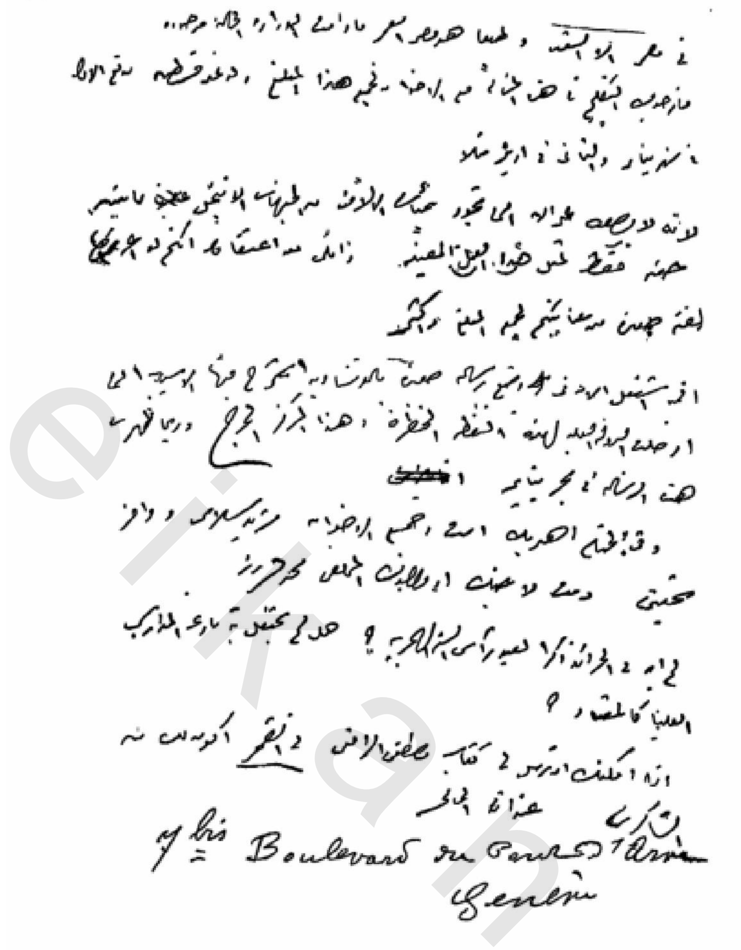

Boulevard

وقد عملتُ بنصيحته، وضاعفت جهودي في خدمة الحركة التعاونية والحركة الاقتصادية، وصرفت سنة (١٩١٣م) في وضع كتابي عن (التعاون)، والمساهمة في تأليفة بعض النقابات الزراعية، ودراسة بعض الشئون الاقتصادية، فكتبت في (الشعب) سلسلة مقالات عن ميزان مصر الاقتصادي (أعداد ٢٣ سبتمبر، و١ و٢ و٥ و١٠ و١٤ أكتوبر سنة ١٩١٣م)، وعوائق الصناعة الوطنية (عدد ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٣م).

obeikan.com

خطاب الفقيد إليّ في ٢٥ مارس سنة ١٩١٣

obeikan.com

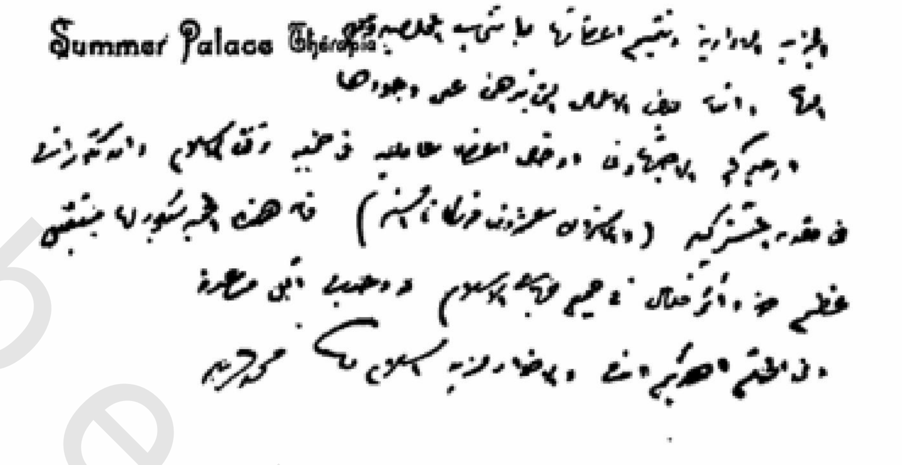

ولما علم الفقيد باشتغالي بوضع كتابي عن التعاون، أرسل إليَّ في (٢٢ إبريل سنة ١٩١٣م) الخطاب الآتي (صورته بالزنكجراف ص ٤٧٥).

«الأستانة البلد: ٢٢ إبريل سنة ١٩١٣م

حضرة عزيزي الفاضل عبد الرحمن أفندي الرافعي:

وصلني عزيز خطابك الرقيم ٤ الجاري، وقد سرني اشتغالكم بهذا المؤلف الاقتصادي كما سرني خبر انصراف همة أحمد بك لطفي لهذه الغاية المفيدة خصوصًا وقد علمت من مطالعة الجرائد أن كتشنر سيشتغل بها استجلابًا للأمة نحوه ونحو الاحتلال، فيجب عليكم أن تسبقوه لهذا العلم، حتى لا تغش الأمة، ولا تنصرف إليه. على أني لم أسمع من مدة بتشكيل نقابات جديدة، أو شركات تعاون، أو شيء آخر من هذا القبيل، مع أنكم لو قام كل فرد منكم بتأسيس جمعية اقتصادية في دائرته، لبلغ عددها في وقت قليل العشرات بل المئات، ولذلك أرى أن اشتغالك بالتأليف لا يجب أن يمنعك من الاشتغال عمليًّا في تأسيس النقابات مع إخوانك، وما هذا بعزيز عليكم لو أردتم، ولعلني أسمع قريبًا بأخبار ما تؤسسونه من الشركات والجمعيات الجديدة.

obeikan.com

سرني كذلك ما قررته اللجنة من عقد مؤتمر وطني بجنيف، وقد رأيت أن يكون في ٢٢ سبتمبر، أي تاريخ انعقاد المؤتمر الأول، وإني أقترح عليك أن تكتب تقريرًا عن حالة النقابات بمصر وتاريخها، وبعض إحصائيات عنها وعن أعمالها؛ لنظهر للعالم شيئًا من أعمالنا العملية ونبرهن على أن حزبنا حزب إنشاء وتعمير لا حزب تخريب كما يتهمونه به.

إني بانتظار نتيجة أعمالك لصالح جمعية ترقي الإسلام.

ماذا تقصد عمله في الإجازة المقبلة؟ هل تحضر لأوربا أو تنتظر انعقاد المؤتمر؟ إني أكون سعيدًا جدًّا لو رأيتك بين خطباء المؤتمر، وفقك الله لخدمة البلاد آمين.

سلامي لك ولجميع الإخوان، وبالأخلص للأخ أمين، حفظه الله لك ولنا».

المخلص

محمد فريد

obeikan.com

خطاب الفقيد إليّ في ٢٢ ابريل سنة ١٩١٣

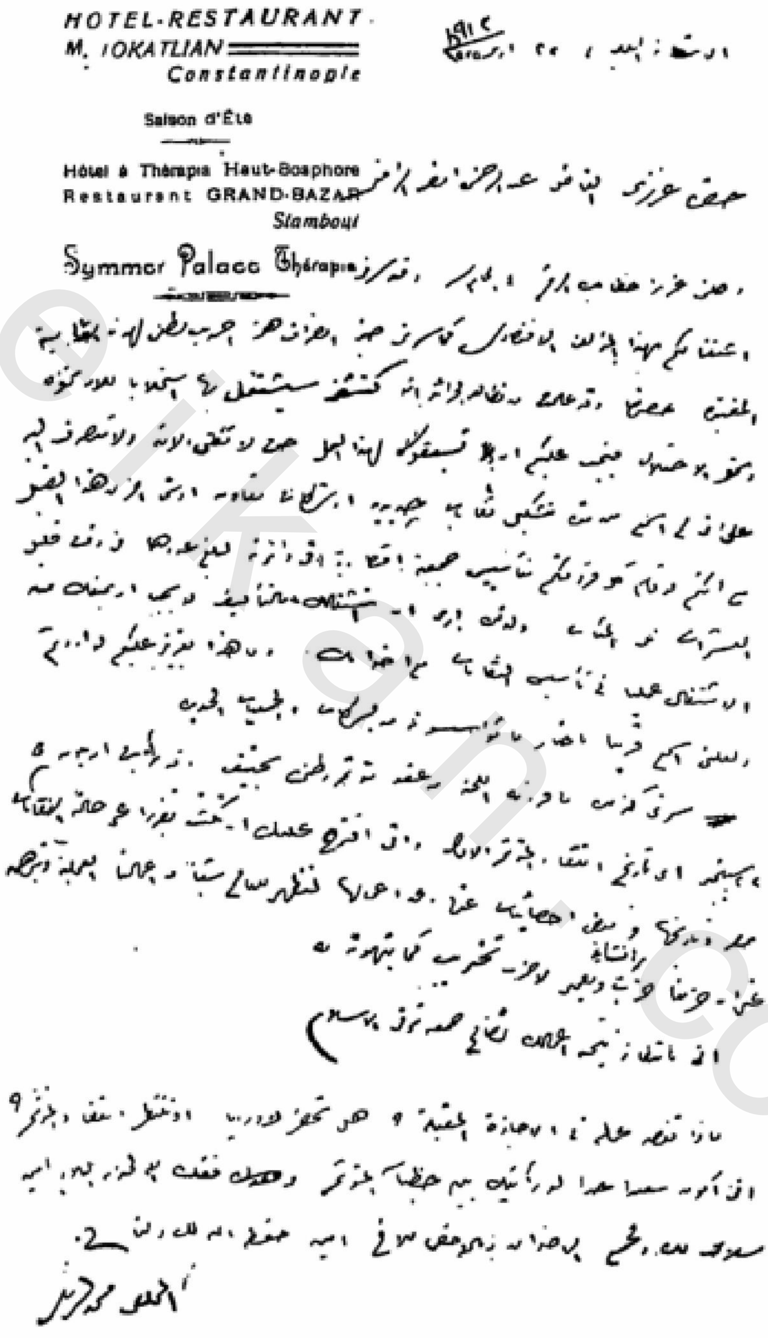

obeikan.com

وجاءني منه في (يونية سنة ١٩١٣م) الخطاب الآتي (صورته ص٤٧٧).

«جنيف في ٦ يونية سنة ١٩١٣م

ولدي المحترم الفاضل عبد الرحمن أفندي الرافعي:

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد وصلني جوابكم المؤرخ ١٠ الماضي من مدة، ولم يمنعني عن الرد عليه للآن إلا الكسل من جهة، واشتغالي بمجلة ترقي الإسلام من جهة أخرى، فقد أصدرت العدد الثاني منها عقب عودتي من الأستانة وأرسلت لك نسخة منها لعلها وصلت ولم تصادرها حكومتنا الأبوية الرحيمة.

من (٧ مايو) لم يصلني إلا جريدة أخرى مصرية، ولا أدري لذلك من سبب، مع أني كتبت للإدارة قبل سفري من الأستانة بعنواني الجديد، وها قد كتبت في عشرة أيام للإدارة مجددًا، فأرجوك التحرير لأخيك أمين بالتنبيه على من يلزم بإرسال النسخ المتأخرة جميعها ابتداء من (٨ مايو) وعدم قطع الشعب أو أي جريدة تقوم مقامه[١] -أرجوك أن ترسل لي نسخة من تقرير كتشنر بالعربية، وأخرى بالفرنسية، إن كان طبع بها؛ لأن وجوده بين يدي ضروري للكتابة والمناقشة.

كيف حال نادي المدارس؟ وهل سكتت عنه الحكومة؟[٢] وما هي الحالة العمومية بالإجمال. أرجوك أن تكتبها مطولًا، وأن يكون الدواب (مسوكرًا).

بلغ سلامي لجميع الإخوان، وبالأخص وفيق، وأخبره بأني في اشتياق زائد لجواباته وأخباره، هل أؤمل أن أراكم هذه السنة بأوربا؟ ومن من الإخوان عزم على السفر في هذا الصيف إلى ربوع سويسرا؟».

محمد فريد

(١) كانت مصلحة البريد تصادر بعض الرسائل والمطبوعات التي ترسل للفقيد، وتعطل بعضها، ومن هنا تأخر وصول أعداد (الشعب) إليه ولم يصله كثير منها.

(٢) انظر: ص٣٢٨.

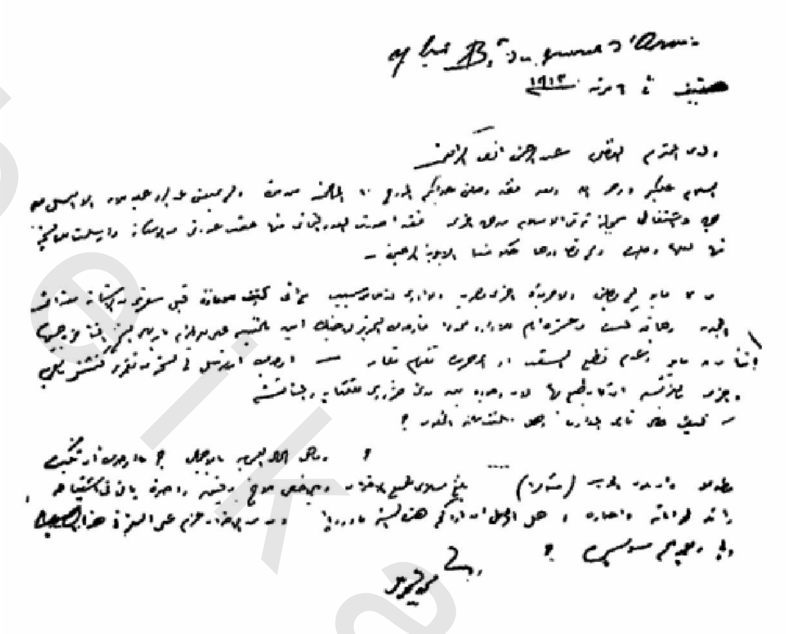

خطاب الفقيد إليّ في ٦ يونيه ١٩١٣

وفي (يولية سنة ١٩١٤م) أهديته كتابي عن التعاون، فجاءني منه الخطاب الآتي (صورته بالزنكجراف ص٤٧٨):

«جنيف في ٢٣ يولية سنة ١٩١٤م

حضرة ولدنا الفاضل عبد الرحمن بك الرافعي حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد فقد وصلني كتابكم في تاريخ النقابات ومستقبلها في مصر، وقرأته من أوله لآخره، فألفيته أحسن كتاب أخرج للأمة المصرية في هذا العام، على هذه الخدمة الوطنية التي لا تقدر، وفقكم الله للاستمرار في هذا الطريق المفيد وأفاد البلاد بآرائكم، والأمل الآن أن كل النقابات التي تؤسس تنشأ حرة، بحيث يسقط قانون الحكومة من نفسه أو تضطر هي لتعديله.

obeikan.com

مؤتمر الشبيبة بعد باكر، والمنظور أن سيكون شاملًا لمندوبين عن جميع الجمعيات فقد حضر للآن مندوبو لندره وبرلين وباريس وبلجيكا والأستانة، وسنجمع أعماله ونرسلها للشعب عله يوفق وتساعده الظروف السياسية على نشرها كلها أو بعضها.

أؤمل أن أكون بالأستانة حوالي (٢٠ أغسطس) لأحضر عيد الفطر بها، فلعلي أراك بها بخير وصحة وعافية، والسلام عليكم ورحمة الله».

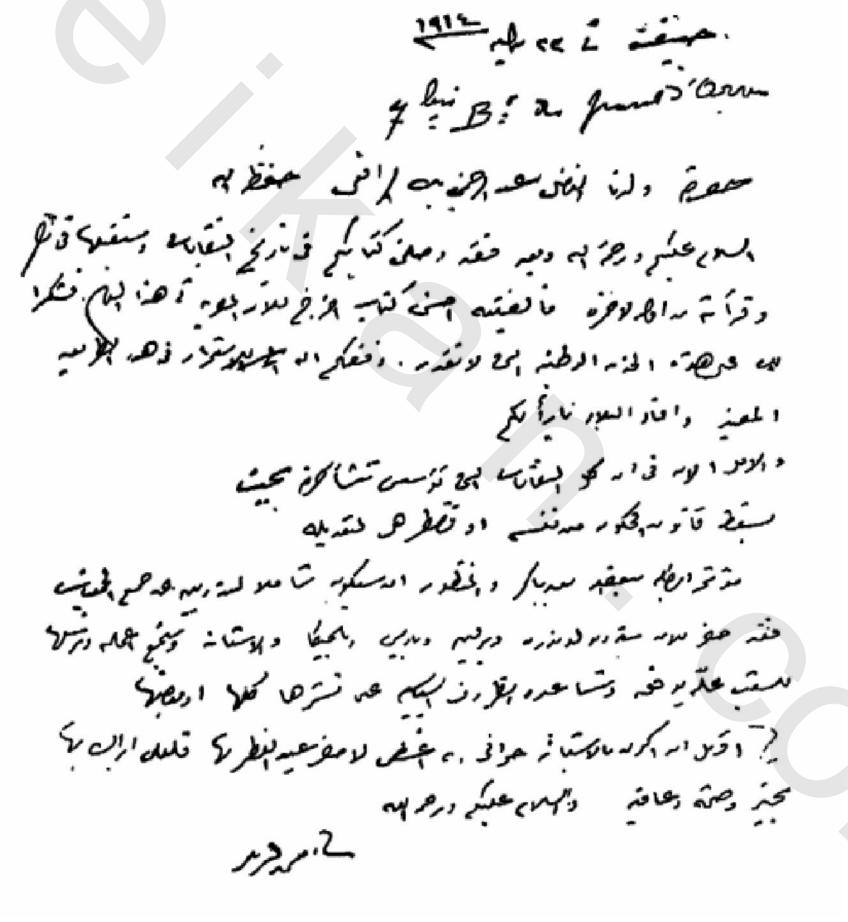

وقد نشبت الحرب العالمية الأولى في (أغسطس سنة ١٩١٤م)، وانقطعت المواصلات بين مصر وأوربا، فلم يتح لي أن أرى الفقيد؛ على شدة رغبتي في أن

obeikan.com

أسعد برؤيته، وانقضت أعوام الحرب، ثم أعلنت الهدنة في نوفمبر سنة ١٩١٨م، وقامت الثورة في مصر، وترقبت أن تعود الفرصة، فتتاح لي، لكي أسافر إلى حيث ألتقي بإمامي في الوطنية؛ ولكن الموت عاجله وحال بيني وبين أن أراه، وغاب عني شخصه، ولكن لم تغب عني قط ذكراه، ولن تغيب ما دمت حيًّا.

رثائي للأستاذ أحمد وجدي

كان للمرحوم الأستاذ أحمد وجدي -كما ذكرت في سياق الحديث- أثر فعال في توجيه حياتي العملية والسياسية، ولقد توفي رحمه الله في (سبتمبر سنة ١٩٣٠م)، فكان لنعيه وقع أليم في فؤادي، وكانت وفاته من الصدمات التي أثرت في نفسي تأثيرًا عميقًا، وقد رثيته في الأهرام (عدد ١٦ سبتمبر ١٩٣٠م) بكلمة أود أن أعيد نشرها هنا؛ وفاءً للصديق الراحل، قلت فيها:

«دمعة على صديق – أحمد وجدي»

«نعاه لي الناعي أنضر ما يكون شبابًا، وأحسن صحة، وأقوى ما يكون أملًا في الحياة، فكدت لهول الفاجعة لا أصدق نبأها، فذهبت إلى داره أتبين الخبر، فإذا الدار موحشة مقفرة، وصوت النعي يدوي بين جوانبها، فعلمت أن قد حمَّ القضاء، واختطفه الموت، فلا حول ولا قوة إلا بالله!

أبكيك أيها الصديق بعين دامعه، وفؤاد ينفطر حزنًا وألـمًا، أبكيك، وهل ينفع البكاء إذا نزل القضاء؟ أبكي فيك نفسًا زكية، وأخلاقًا كريمة، ووطنية عالية، وقلبًا يرعى العهد، ويحفظ الود، ولسان صدق ما جرى إلا بالحق، فالآن أتفقدك، فلا أراك وأبحث عن تلك الشمائل التي عرفتها فيك طول حياتك، فلا أجدها، إلا ذكريات تثير في النفس لوعة الأسى والأحزان.

عرفتك أيها الصديق، منذ التقينا وتعارفنا في مدرسة الحقوق؛ إذ تلقينا العلم معًا، جنبًا إلى جنب، فائتلفنا، وتآخينا، وارتبطنا بروابط المحبة والإخاء، وجمعتنا

مبادئ واحدة، وأفكار متقاربة، وأرواح متعارفة، وإن أنس لا أنس يوم أن تخرجنا معًا من مدرسة الحقوق منذ عشرين سنة ونيف، فاشتغل كلانا بالصحافة فترة من الزمن، أنت في جريدة الدستور، وأنا في جريدة اللواء، ثم مالت نفسك للمحاماة، فما زلت بي تقنعني وترغبني فيها، وكنت منصرفًا عنها، فاستمعت إلى نصيحتك، واستجبت لدعوتك، ومارسنا المحاماة معًا، وتعاهدنا على أن نتخذها مدرسة للأخلاق، ووسيلة للجهاد القومي، فصدقت وعدك، ووفيت بعهدك وكنت رجلًا، والرجال قليل، لم يتغير لك مبدأ، ولم تتزلزل لك عقيدة، ولم يغرك زخرف الحياة وبهرجها، وبقيت على طول السنين، وتعاقب الأحداث، وتقلب الأحوال، وتبدل الظروف، علمًا من أعلم الأخلاق، والفضيلة، والوطنية الصادقة.

وحينما فقدت شقيقي «أمين»، رأيت فيك أخًا وفيًّا، وصديقًا أمينًا، أطمئن إليه، وأستأنس به في صحراء هذه الحياة، فالآن أفقدك أيها الصديق العزيز ولما يجف الدمع على أخي أمين؛ واليوم تفقد مدرسة الوطنية الأولى ركنًا من أركانها، وتخسر مدرسة الأخلاق رجلًا من أفذاذها، فإنا إليه راجعون. اللّهم ألهمنا صبرًا، وثبت قلوبنا، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا».